سابور في شعر العرب، بين الشخصية والرمز (دراسة تاريخية)

Sabur in Arab Poetry, between Character and Symbol- Historical Study

براء خالد هلال

طالب دكتوراه في الأدب العربي

الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد

Abstract

The mention of Saboor in Arabic poetry refers to three different figures: the Persian King Saboor, the Buyid Vizier Saboor ibn Ardashir Abu al-Nasr, and the Christian Physician Saboor ibn Sahl. Although the most common inspiration is the character of King Saboor, indicating the cultural connection and influence exerted by Persian culture on Arab culture, especially among poets of Persian origin like Mahyar al-Daylami, who repeatedly used the name Saboor as a symbol of pride in Persian heritage.

The term "Sabor" in Arabic poetry is also associated with the cities built by King Saboor the Broad-Shouldered, which were named after him. Additionally, many Arab poets have spoken of "Saburi silk," which is attributed to the era of King Saboor, symbolizing luxury and opulence.

In this research, we will explore the poems that mention Sabor and the symbol referred to by those verses.

Keywords: Persia, Saboor, Comparative literature, Mahyar, Arabic Poetry

مقدمة:

برز التأثير الثقافي بين العرب والفرس في شتّى مراحل جوارهم التاريخي والجغرافي، وخضع لعوامل القوة والضّعف والسّيطرة. وقد كان للإمبراطوريّة الفارسيّة في جاهليّة العربِ تأثيرٌ كبيرٌ على العديد من الثّقافات والحضـــاراتِ القائمةِ في بلاد الرافدين والجزيرة العربية لاســـيّما عربُ الحيرةِ والمناذرةِ وبكرٍ وتغلبَ، الذين اعتمدوا في معايشـــهم وتجارتهم على دولة الفرس[1]. كما كان لغنى التُّراثِ الفارســـيّ الذي تحكمه دُوَل منظّمةٌ إجلالٌ في ذاكرةِ العربِ، لاســيَّما التجار منهم، حيث كانت الإمبراطورية الفارسـية آنذاك إحدى دولتين تحكمانِ العالم. لذا لم يكنْ ملوك فارسَ غائبينَ عن الذاكرة العربية، لاســـيّما من غزا جزيرةَ العربِ منهم كالملكِ الضّـحّاكِ وسـابور ذي الأكتاف – وهو محور بحثنا–. ثم جاء الإسـلام وقضـى على مُلكِ

فارسَ وأخضع دولتهم لسلطانِ المسلمين، والذين يدينون للعرب بطبيعة الحال، إبان الخلافة الراشدة وحُكم بني أميّة، إلى أن استطاع الفرس أن يجدوا لهم موطأ قدمٍ في دولةِ بني العباس تحت دِثار أبي مُسْلم الخراسانيّ والبرامكة من بعده[2]. وبرز في هذه المرحلة أيضا الشُّعراء المولّدون، وجُلُّهم من الفُرس الذي يفتخرون بملوك فارس على قدم المساواة مع خلفاءِ المسلمين وسادَتهم. لذا ليس غريباً أن نجد ملكاً كالملك (سابور) يرد كثيراً على ألسنة الشعراء العرب لاسيّما في العصر العباسي، وقد كان الشعراء العرب يذكرون ملوك فارس للثناء أحياناً، وللّمزِ بالأفكار الشعوبيَّة أحياناً أخرى. ولكن ما استرعى انتباهي في أشعار المرحلة العباسية بالذات، أن اسم (سابور) إذا ورد في الشعر فإنه لايشير بالضرورة إلى الملك الفارسي (شاه بور) المعروف عند العرب بـــ (سابور ذي الأكتاف)، وحتى إن أشار لهذا الملك فإن إيراد الاسم يرمز إلى معاني مختلفة، لذا أخذت على عاتقي في هذا البحث تتبّعَ الأشعارِ التي تطرّقت لهذه الشخصيّة، وتحديد المسمّى المقصود من ورائها، وشرح دلالة الرمز المقصود من إيراد هذا الاسم، وأردفت عنواناً للحديث عن النسبة إلى سابور في شعر العرب ودلالتها، متّبعاً في ذلك المنهج التحليليّ التاريخيّ.

1- سابور الشخصية

كثُر ترددُ اسمِ (سابورَ) كثيراً في شعر العرب لاسيما في شعر العصر العباسي، ولكن هذا اللفظ لم يكن يدلُّ على شخصية واحدة، رغم الأصل المشترك للاسم، والأصل فيه "شاه بور" وتعنى (ابن الملك) بالفارسيّة[3]، وعادة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف. وأول من سُمّي بهذا الاسم سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الفرس.[4] وقد مثلت شخصيَّة "سابور" في شعر العرب رمزًا مهمًا ومتعدد الأبعاد يشير إلى ثلاثة رجال مختلفين في مراحل زمنية مختلفة، وهذه الشخصيات تعكس مفاهيم متعددة تتعلق بالفخر بالإرث الفارسي، وقِدَم التاريخ، والحكمة، والطب، وغيرها من القيم، وهذه الشخصيات هي كما يلي:

أولاً: سابور ذو الأكتاف

اسمه ولقبه:

شابور الثاني أو سابور ذو الأكتاف (309-379م) هو أحد ملوك الفرس الذي كان له اتّصال مباشر مع العرب، وخاصة خلفيات اللقب الذي عرف به وهو (ذو الأكتاف). ويرجع نسبه إلى هرمز بن نرسي. تقول الأسطورة أن سابور هو الشاه الوحيد في تاريخ آل ساسان ممن توّجوه وهو لا يزال في رحِم أمه، حيث تمَّ وضع تاج الملك على بطن أمه وهي حامل به[5]، وفي أصل اسمه (شاه بور) يقول أعشى قيس في معرض سرد قصَّة استيلاء سابور على الحَضْر وقتله لملكها السّاطرون {من المتقارب}[6]:

أَلَمْ ترَ للحَضْر إذْ أهلُه بنُعْمَى، وهَل خالدٌ مَنْ نِعِمْ

أقام به شاهبورُ الجنو دَ حولّين تضربُ فيه القُدُم

فهو قد ولد ملكاً إذن، لكن حين يكون الملك صبيّاً يخضع الحُكم للوصاية، وهذا ما حصل فعلاً حيث وُضِعت المملكة الساسانية تحت وصاية أمه وسادة الدولة، ولصغر سنّ هذا الفتى طمع العرب والروم في مُلكِ فارس حتى غلبتْ عربُ العراقِ على سوادِها، لاسيّما نسلُ إياد بن نزار، بقيادة الملك الحارث بن الأغرّ الإيادي، فلما بلغ شابورُ ستة عشرة سنة، أعدّ عُدَّته للخروج إلى العراق والإيقاع بقبائل العرب، التي كانت تنحسر في صيفها إلى جزيرة الفرات وتقضي شتاءها في العراق[7]، وكان في حبس سابور رجُل منهم يُقال له لقيط بن يعمر الإيادي، فكتب إلى إيادٍ شعراً ينذرهم بنيَّة سابور غزو العراق، لكن إياداً لم تعبأ بقول لقيطٍ حتى غزا سابور العراق وأغار على السَّواد، وأمَّن جنوبَ فارس، ولم يفلت من العرب إلا نفرٌ قليل لحقوا بأرض الرُّوم[8]، وخلَّع سابور بعد ذلك أكتاف العرب، فسُمِّي سابور ذا الأكتاف، وفي ذلك يقول ابن الرومي {من البسيط}[9]:

أصبحتُم شأنكمْ إثباتُ أجنحة وشأنُ سابورَ قِدماً نزعُ أكتافِ

ويقول ابن نباتة المصري مادحاً سطوة السلطان المملوكي الناصر بن قلاوون، مستوحياً حكاية سابور ذي الأكتاف {من الكامل}[10]:

النّاصرُ بنُ النّاصرِ بن قلاوون المـ ـنصورَ جانسَ نصرُه أسلافَهُ
خضعَتْ لعزَّته الملوكُ وأذعنتْ لأغرّ أمَّلَهُ الزمانُ وخافَهُ
خدمَتْهُ حتَّى أنجمٌ مرّيخُها لو عادَ كسرى ظنَّهُ سيَّافَهُ
ولو أن ذا الأكتافِ سابوراً عصى أمراً لقطَّعتِ العصَا أكتافَهُ

وجاءت هذه المبالغة في البيت الأخير لما عرف عن سابور من شدته وبطشه في خصومه، ولكن الشاعر رأى أنه لو عاد به الزمان لما وسعه إلا أن يطأطأ لابن قلاوون.

فخر الشعراء المولدين به:

كان مهيار الديلمي شاعراً فارسيّاً ثمّ أسلم على مذهب الباطنيّة، لكنّ إسلامه لم يُنسِهِ أصلَه الفارسيّ، فظلَّ يفتخر بملوكِ فارسَ وإرثِهم مهما تباعدَ بهم الزّمان، وهو القائلُ {من الخفيف}[11]:

وإذا حُوسبوا على الحسَبِ الأبـ ـعَدِ عَدَّوا بهرامَ أو سَابُورا

ولطالما أدرج مهيار سابور في عداد ملوكِ الفرسِ العِظام الذين يفتخرُ بالانتماءِ إليهم مثلَ بهرام وجمشيد وسابور، فيقول {من الخفيف}[12]:

من بهاليلَ أنبتوا ريشةَ الأر ضِ وربّوا عظامَها والجِلدا
أرضعتْها أيديهمُ درَّة الخصـ ـبِ فروَّتْ تِلاعها والوَهْدا

بـينَ جـمَّ مـنـهـمُ و ســـابـورَ أقـيـا ... لٌ يـعـدّون مـولـد الـدَّهـرِ عَـدَّا
لهـمُ حـاضـــرُ المـمـالـكِ إن فـا ... خـرَ قـومٌ مـنـهـا بـقـفـرٍ ومـبْـدى
أخـذوا عُـذرةَ الـزمـان وســـدُّوا ... فـرْجَ الـغـيـلِ يـقـنصُـــون الأُسْـــدا
ســـيرُ الـعـدلِ في مـآثـرهـم تـر ... وى وحســـنُ الـتـدبـير عـنـهـم يـؤدَّى

أُولِع مهيارُ بذِكْر ملوكِ الفرس في شـعره لأنَّهُ ينتسـبُ إليهم، كجمٍّ، وهو اختصـار لاسـم الملك جمشـيد، وحفيده سـابور، ولكنَّ العربَ لم تحفَل كثيراً بشـعر مهيار، نظراً لانتمائه الفلسـفي إلى شـعرِ المشرق، وهو ذلك الشعر الذي "تجود به سليقة مستمدَّة من خيالٍ آريٍّ"[13] ينتمي إلى بلاد فارس، كما ذكر إسماعيل مظهر في (تاريخ الفكر العربي)، بينما يُفضِّل العرب السليقة السَّاميَّة، والفرق بين الذوقين جَليٌّ في الأساليب والنزعة النفسيَّة، وإن كنّا لا نكاد نلمسه، وهو بَيّنٌ في صور الدين والشعر والموسيقى وبقية الفنون، فشـعر مهيارَ كسـائر الشـعر الفارسـيّ مولَعٌ بالتنويع والقدرة على الجمع بين المتناقضـات بطريقة روحانيَّة، لا يتقبَّلها التفكير العربيّ المرتكز إلى مفهوم التوحيد المطلق من كل قيد، لذلك لا يجد مهيار بأســاً في الفخر بملوك الفرس وأديانهم وعاداتهم، والفخر بالإســلام ورموزه معاً رغم ما بينهما من تنافر. فإذا رجعنا إلى تاريخ الملك شـابور الثّاني وجدنا أنه اتبع سـياسـة دينية قاسـية وفي عهدِه اكتملت مجموعة النصوص المقدّسة للزرادشتيّة المسماة (أفيستا)، وعوقب المبتدعونَ والمرتدون عن الدين الزرادشتي واضـطُهد النصـارى، واضـطهاد النصـارى كان ردّ فعل ضـدّ اعتناق الإمبراطوريّة الرومانيةِ المنافسـة للفُرس لهذا الدين بفعل قسـطنطين الكبير (324-337م)، ولكن الملكَ شـابور الثّاني كان مثل الملك شـابور الأول وِدوداً نحو اليهود الذين عاشوا في حريَّة نسبيَّة في عهده، وكَسبَ اليهودُ العديدَ مِنْ الفوائدِ في عهد الملك شـابور الثاني، لذا لا تجد الشـعراءَ العربَ من غير المولدين أكثروا من ذكر هذا الملك في أشـعارهم كما فعل مهيار، وربما لهذا السبب وأضرابه لم يلْقَ شعرُ مهيارَ رواجاً عربياً.

في الوقت الذي مات فيه الملك شـابور الثاني، كَانتْ الإمبراطورية السـاسـانيّة الفارسيّة أقوى أكثر من أيّ وقت مضى، فقد كانت الأوضـاع هادئة مع أعدائها في الشـرقِ، وكانت أرمينيا تحت السـيطرةِ الفارسيّة، لذا نرى مهياراً لايكُفُّ عن الفخر بمآثر هذا الملك وينتســب إليه، كما في قوله في موضــع آخر {من الخفيف}[14]:

إن يَـفُـتْـنـا الخـطـيـبُ والمِـنـبر المـنـ ... ـــــصـــوبُ فـالـتـاج حظُّـنـا والســريرُ
حسْـــبُـنـا أن تـعـلَّـم المـلـكُ مـنّـا ... والســـيـاســـاتُ فـيـه والـتـدبـيرُ
وكـفـيـنَـاه أمـرَ رســـتُـمَ في الحـر ... بِ إذا عُـدِّد الـرجـالُ الـذُّكـورُ
والذي قد سَقَى من الدمِ ذو الأكـ ... ـــــتـافِ حتى روَّى الثرى ســـابورُ

ولـدوا منـك كوكبـاً ضـوءُه السـا ري دلـيـلٌ عـلـيـهِـمُ ونـذيـرُ

في هذه الأبيات لم يجد مهيار بأساً من نعت سابور بذي الأكتاف، وهو لقب ارتبط ببطشه ولكنه بات – على أية حال– مسمى عربياً مشهوراً له لجأ إليه مهيار، بغض النظر عن خلفيّات التسميَة.

منعته:

وفي الفخر بمنعَة سـابور وحمى دياره، التي عجزت أعداءُه آنذاك أن تطال منها، يقول مهيار الديلمي أيضاً في قصيدة له {من الوافر}:

أقـول لهـمَّـةٍ لـو قـيـل مُـدّي بـبـاعِ الـنَّـجـمِ لم تـرضَ ارتـفـاعـهْ
إذا مـا الضَّـيـمُ رابـكِ فـاسـتجيري ذَرَا سـابـورَ وانـتـجـعـي بِـقـاعَـهْ
ثـقـي ولـوَ انّ حـاجـتَـكِ الـثُّـريا إذا مـا الـلـيـثُ مـدّ لهـا ذراعـهْ

ولعل مهياراً قصَد في هذه الأبيات منعة ديار فارس وهي موطنه الذي ينتمي إليه، فمدَّ لنفسه إلى سمو الثريّا نسباً، وفي منعة سابور يقول أبو العلاء في (لزوم ما لايلزم) {من البسيط}[15]:

أمَـا رأيـتَ صـروفَ الـدهـرِ غـاديـةً عـلـى الـقـلـوبِ، بـتـبـغـيـضٍ وتحـبـيـبِ
وكـلُّ حـيٍّ، إذا كـانـتْ لـهُ أُذُنٌ لم تُخـلِـه مـن وشـاياتٍ وتخـبـيـبِ
عـجـبـتُ لـلـرّوم، لم يَـهـدِ الـزمـانُ لهـا حـتـفـاً، هـداهُ إلى سـابـورَ أو بـيـبِ

وإننا إذا أكثرنا النقل والاستشهاد لمهيار في هذا المبحث فهذا لايعني أن الفخر بسابورَ ومُلكه كان وقفاً على مهيار أو له أن الفضل في الترويج لسابور عربياً، إن صحّ القولُ، فذِكْر سابور ومنَعَته وحمى دياره أقدمُ من مهيار بقرنين، ففي منعته يقول مُسلم بن الوليد مادحاً أحد ملوك اليمن {من الكامل}[16]:

كـانـوا الـمـلـوكَ بَـني الـمـلـوكِ وِراثَـةً وَالـمـلْـكُ فـيـهِـم لا يَـزالُ يَـدورُ
أَعـطـاهُـمُ ذُلَّ الـمـقـادَةِ قَـيـصَـرٌ وَجَـبى إِلَـيـهِـم خَـرجَـهُ سـابـورُ

ولو يكن سابور معروفاً بمنعته بين الأكاسرة لما لجأ مسلم بن الوليد إلى وصف عزة ممدوحه بهذه المبالغة بأن جعل سابورَ ذا الأكتاف يسوق خراج بلاده إلى أرض اليمن.

غدرُه وبطشُه:

"لما هَمّ أبو جعفرٍ المنصور بقتلِ أبي مسلم الخراساني احتار بينَ الاستبداد برأيه والمشاورة فيه، فدعا بإسحاق بن مسلم العُقيلي، وقال له: "حدِّثْني حديث المِلكِ الذي أخبرتني عنه بحرَّانَ، قال: أخبرني أبي عن الحصين بن المنذر أن ملِكاً من ملوك فارسَ يُقال له سابور ذو الأكتاف كان له وزيرٌ ناصحٌ قد

اقتبس أدباً من أدب الملوك وشابَ ذلك بفَهمٍ في الدين، فوجّههُ سابور داعيةً إلى أهلِ خراسانَ، وكانوا قوماً عَجَما يُعظّمونَ الدنيا جهالةً بالدين، فأُشرِبوا له حبّاً، فصمّم سابور على قتله عند وروده عليه برؤساء أهلِ خراسان وفرسانهم، فلم يرعَهم إلا ورأسُهُ بين أيديهم، فرأوا أن يستتمُّوا الدعوة بطاعةِ سابور ويتعوّضوه من الفُرقة، فأذعنوا له بالمُلْك والطاعة وتبادروه بمواضع النصيحة، فمَلَكهم حتى مات حتفَ أنفه"[17].. عندها اطمأن المنصورُ لقتل أبي مسلم ثم أمرَ به فحُزَّ رأسُه وبَعثَ به إلى أهل خراسان وهُمْ ببابه، فجالوا حوله ساعةً ثمّ ردّ من شغبهم انقطاعُهم عن بلادهم، وإحاطةُ الأعداء بهم، فدلّوا وسلّموا له. فكان إسحاق إذا رأى المنصور قال {من الوافر}:

وما أحذو لكَ الأمثالَ إلا لتحذوَ إنْ حذوتَ على مثالِ

وكان المنصور إذا رآه قال{من الطويل}:

وخلفها سابورُ للنّاس يُقتدى بأمثالها في المعضِلاتِ العظائمِ[18]

ومما رُوِيَ عن بطشِه "أن الأعاجمَ قد بلغهم أن العربَ سيظهرون على بلادهم، ويستعبدون أبناءهم، وكان سابور ذو الأكتاف لا يسمع بغرّةٍ لأحد من العرب إلا أغار عليهم، فسمع بغرّةٍ لبني تميم فحَذِروا، فقال لهم عمرو بن تميم – وهو يومئذ شيخ قد أتت عليه خمسمئة سنة، وقد تناسل أولاد أولاده فصاروا قبائل: "اذهبوا ودعوني، فقد حضر أجلي، فلعلّي أصرِف هذا عنكم، أو يقتلني فأستريح، فجُعل في مكتَل، وعُلِّق بشجرةٍ ينزل تحتها سابور، وأقبل سابور فنظر إلى المكتل، فأمر به فأنزل، فإذا هو بشيخٍ كبيرٍ، فقال له: من أنت؟ قال: أنا من العرب، قال: ومن أيّ العرب؟ قال: أنا ابن تميم بن مُرَّ، فقال سابور: إياك أطلب.. وقومَكَ خاصةً. قال له عمرو: علينا أيها الملك، مالكَ ولقومي تقتلُهم؟ قال: بلغني أنكم الذين تظهرون علينا وتقهروننا على بلادنا. فقال له عمرو: أبحق تستيقِنُه أم بظنٍّ تظنّه؟، فو الله لئن كان باطلاً ما ينبغي أن تقتل قوما براء في غير ذنبٍ، وإن كان حقّاً عندك، ثم قتلت العرب كلّهم لأبقى الله منهم رجلاً يفعل ذلك بك وبأهل بلدك، فأحسنْ إلينا نحسنْ اليك، وأحسن السيرة فينا نحسن السيرة فيك. فقال سابور: لأن أكون سمعت هذا الكلام قبل اليوم أحبُّ إلي من أن أعطى ملءَ الأرض ذهباً وفضةً، فخلّى سبيلَه وكفَّ عن قتلهم بعد ذلك. فبهذا قال العنبري يمنُّ على بني تميم {من الوافر}:

ردَدْنا جمعَ سابورٍ وأنتم بمهواةٍ متالفُها كثيرُ[19]"

ثانياً: سابور بن أردشير البويهي

أما سابور الآخر الذي تردّد ذكره في شعر العرب فهو سابور بن أردشير، أبو النَّصر، وزير بهاء ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي، كان من أكابر الوزراء، وأماثل الرؤساء وجمعت فيه الكفاية والدراية[20]. وكان بابُهُ محطَّ الشعراء، ذكَره أبو المنصور الثعالبي في كتابه "اليتيمة" وعقد لمدحِهِ باباً

مستقلاً لم يذكُر فيه غيرَه، وهو سابُور الذي عقَد البحتريُّ بينه وبين سابور ذي الأكتاف حيثُ يقول{من الخفيف}[21]:

قَدّمَتْهُ قَوَادِمُ الرّيشِ مِنهُمْ حينَ خَاسَتْ بآخَرِينَ الخَوَافي
رهْطُ سابُورَ ذي الجُنُودِ، وَطُلاّ بُ مَساعي سَابُورَ ذي الأكْتَافِ
عُمّرُوا، يُخلِفُونَ باطلَ ما ظَنّ الـ ـعِدَى بالوِقَافِ ثمّ الثِّقَافِ
يا أبَا عَبدِ الله مَدّ لَكَ الله بِنَاءَ العَلْيَاءِ مَدَّ الطِّرَافِ

فمن هذا الإتباع الذي أتى به البحتريُّ نفهم أنه يقصِد في قوله (سابور ذي الجنود) ملِكاً آخر يسعى لأن يصل صيتُه وسعيُه ما وصل إليه سابورُ ذو الأكتاف في قديم الزمان من السطوة والمجد، وماهذا الأول إلا سابور بن أردشير البويهي، الذي وقف ببابه الشعراء، على عادتهم مع أقوياء بني بويه، ولم يكن البحتري هو وحده من خاطبه، فمن جملة من مدَحه أبو الفرج الببَّغاء بقوله {من البسيط}[22]:

لمتُ الزمانَ على تأخّر مطلبي فقالَ: ما وجهُ لومي وهو محظورُ
فقلتُ: لو شئتَ ما فاتَ الغِنى أملي فقال: أخطأتَ، بل لو شاءَ سابورُ
لُذْ بالوزير أبي نصرٍ وَسلْ شطَطاً أسرفْ فإنّكَ في الإسرافِ معذورُ
وقد تقبّلتُ هذا النصحَ من زمني والنصحُ حتى من الأعداءِ مشكورْ

الببغاء من مواليد القرن الرابع الهجري، وهو القرن الذي عاش فيه سابور الوزير، وقد تأثر الببغاء في شعره تأثراً واضحاً بوصفيّات البحتري وخمرياته، وفي هذه الأبيات التي بين أيدينا إشارة واضحة إلى ممدوحه بحيث لايختلط لدى السامع بسابور ذي الأكتاف، وذلك في البيت التالي حيث حدد من وصفه أنه (الوزير) وكناه بكنيته المشهورة (أبو نصر).

بيد أن محبي سابور بن أردشير ليس أكثر من أعدائه، وقد اشتهرت أبيات للشاعر الخليع الحسين بن الضحاك الباهلي، في ذم سابور المذكور يقول فيها {من مجزوء الرمل}[23]:

سابورُ ويحك ما أخسَّك بل أخصَّك بالعيوبِ
وجهٌ قبيح في التبسُّمِ كيفَ يحسُنُ في القطوبِ

ولكن من الوهلة الأولى تبين لي أن هذه النسبة غير صحيحة، إذ لا يصح أن تكون لسابور ذي الأكتاف، فالإنسان لا يهجو امرءاً لا يعرفه، ومن ثم فإن الشاعر الخليع هو من ندماء هارون الرشيد، وقد توفي عام 250 هجرية، أي قبل ستٍّ وثمانين عاماً من مولد سابور الوزير البويهي عام 336 هجرية، ولكنني اهتديت إلى سبب الخلط بين الحسين بن الضحاك الخليع وبين قائلها الحقيقي

وهو الشاعر أبو علي الحسن بن علي الخالع، وزير أبي نصر البويهي نفسه، حسبما ذكر الثعالبي في يتيمة الدهر[24]، وهو معاصر للوزير البويهي المذكور.

ثالثاً: سَابُورُ بْنُ سَهْلٍ

وهناك سابور ثالث لم يشِعْ ذكره في شعر العرب كثيراً وهو سابور بن سهل، الطبيب النصراني المتوفى عام 255هـ، كان صاحب بيمارستان جنديسابور المشهور بفارس[25]، ولبروزه في صنعة الطب وجدنا تشبيها في المبالغة بشعر البحتري يشير إليه، حيث قام البحتري مادحاً المتوكل فيما رفع من محنة خلق القرآن، ويهجو صاحب الفتنة الوزير أحمد ابن دؤاد بقوله {من الوافر}[26]:

أميرَ المؤمنينَ لقد شكرْنا ... إلى أيَّامكَ الغرِّ الحسانِ
رددتَ الدّينَ فذّاً بعدما قد ... أراهُ فرقَتين تَخاصَمانِ
قصمتَ الظالمينَ بكلِّ أرضٍ ... فأضحى الظلمُ مجهولَ المكانِ
و في سَنَةٍ رمتْ متجرّبيهم ... على قدَرٍ بداهيةٍ عُوانِ
فما أبقتْ من ابن أبي دؤادٍ ... سوى جسدٍ يخاطَبُ بالمعاني
تحيَّر فيهِ سابورُ بن سهلٍ ... فطاولَه ومنَّاهُ الأماني
إذا أصحابُه اصطحَبوا بليلٍ ... أطالوا الخوضَ في خلقِ القُرانِ

في هذه الأبيات يصف الأمراض العضال التي حلت في جسد أحمد بن دؤاد بعد بطلان دعواه ومحق فتنته، فسقم حتى تحير في علاجه سابور بن سهل، الطبيب صاحب المستشفى الأشهر آنذاك، ولم أعثر على شواهد كثيرة تشير إلى هذه الشخصية فيما سوى هذا الموضع.

2- **سابور: المدائن والآثار**

من أشهر المدن والحواضر التي بناها سابور ذو الأكتاف مدينة الأنبار في العراق حيث أمر بها فبنيت لها وسماها فيروز سابور، وكوَّرها كُوَره[27]، وهي المدينة التي يشير إليها ابن الرومي تعبيراً عن القدم والعراقة في قوله {من البسيط}[28]:

من قهوة شِرّةُ الشبانِ شرّتُها ... وعهدُها عهدُ سابورٍ وفيروزِ

ومن المدن التي بناها مدينة بالبحرين، وهي المنطقة الشرقية من جزيرة العرب، سميت على اسمه، وقد ذكر ديار سابور في شعره سيّد ربيعة قاطبة في زمانه، نهار بن توسعة، حين خاطب أخا عامر، مقاتل بن مسمع فقال {من الطويل}[29]:

مرَرنا على سابورَ يوما فلم نجدْ ... لها عندَ بابِ الجحدريّ معرّجَا
لحا الله بعدي من يرى الحصنَ راجعاً ... تكلّفَ روحاتٍ إليكَ وأدلجَا

فـهـل أنـتَ إلّا كـابـنِ أمّـكَ عـامـرٍ إذا أرعـدت أشـداقُـه، وتخـلّـجَـا

ومن سـابور إلى شـيراز خمسـة وعشـرون فرسـخا، وهي كورة مشـهورة بأرض فارس ومدينتها النّوبندجان وبناؤها بالطين والحجارة والجصّ، وبسـابور الأدهان الكثيرة، ومن دخلها لم يزل يشـم روائح طيبة حتى يخرج منها، وذلك لكثرة رياحينها وأنوارها وبسـاتينها، وقال العمراني: سـابور نهر، وأنشـد{من الوافر}[30]:

أبيْـتُ بجسـرِ سـابورٍ مقيمـاً يـؤرّقـني أنـيـنُـك يا مـعـينُ

وقال كعب الأشقري يصف حرباً دارت فيها {من الطويل}:[31]

تسـاقَوا بكـأسِ الموتِ يومـاً وليلـةً بسابورَ حتّى كادتِ الشمسُ تطلُعُ

بمـعـتركٍ رضـراضُـهُ مـن رحـالهـم وعـفـرٌ يـرى فـيـهِ الـقَـنـا المـتـجـزّعُ

وقال أبو الطيب المتنبي يصف معارك سيف الدولة وسيطرته على حصن سابور بعد حصن الصفصاف{من الطويل}[32]:

وَألحَقنَ بالصّفصَافِ سابورَ فاهَوَى وَذاقَ الـرّدَى أهـلاهُمـا وَالجَـلامِـدُ

وَغَـلّـسَ في الـوَادي بِهِـنّ مُشَـيَّـعٌ مُـبـارَكُ مـا تحـتَ الـلّـثَـامَـينِ عـابِـدُ

فَـتًى يَشْـتَـهـي طُـولَ الـبـلادِ وَوَقْـتُـهُ تَضِـيـقُ بِـهِ أوْقـاتُـهُ وَالمـقَـاصِـدُ

أخُـو غَـزَواتٍ مَـا تُـغِـبُّ سُـيُـوفُـهُ رِقـابَهُـمُ إلاّ وَسَـيْـحـانُ جَـامِـدُ

3- الثياب السابرية

في تفصـيل الثياب الرقيقة تقول العرب (الغلالة)، وهو ثوب يشـبه الكتان الذي يضـمد به الجرح، وكانت العرب تلبس الغلالة تحت الثوب الصفيق.. أو السميك لكي لا يخرش الجسم وليمتص التعرق في الصيف..

ودون الغلالة، (المِبذلة) وهو لفظ دارس في نفسـه، باق في لوازمه، حيث اعتاد الرجال أن يكتفوا في البيت بالمبذلة وهي لا تغطي الأذرع وكثيراً من الصدر، فإذا بالغت المرأة في كشف مفاتنها قالوا أنها تبتذل، أي تتشـبه بالرجال، حتى صـار الابتذال لفظا رديفا للتدرج في التعري رغم انقراض اللفظ الأول.. وكان الشائع آنذاك عما نسميه الآن القميص الداخلي لفظ (الشعار). ودون المبذلة (الميدع)، وهذا عادة ما يستخدم للبطائن حتى يمنع انحلال صبغة الثوب على ماتحته من الثياب، وهو لفظ نادر الاسـتخدام في شـعر العرب، وقد سمي كذلك إذ كانت تتخذ منه قماشـه الصـرة التي (تودع) فيها العروس ثيابها لليلة الزفاف ..[33]

وهذه الأصناف رقيقة لكنها لا تشفُّ عن لون الجلد، أما إذا رقّ الثوب حتى صار يكشف عما دونه فهو (شَفٌّ) وعادة ما يكون من الحرير، أو الطرحة التي تتخذ للعرائس، وهذا اللفظ شاع كثيرا في شعر العشاق، فإذا زاد الثوب الشفيف عن الحدّ، فهو (ثوب سِبٌ)[34] وهو لفظ غير شائع... فإذا صار، أو صارت لابسة الثوب كأنها عارية قالوا ثياب سابريّة .. وهذا في أصله حرير فارسي كانت تلبسه الجواري والإماء في عهد سابور ذي الأكتاف، واستهجن العرب حرير قومه لرقته فلا تكاد تتحقق وجوده إلا إذا لمسته بيديك حتى صار الحرير السابري مبالغة الرقة والفتنة، قال أبو العلاء المعري في جناس تام يصف رقة الحرير السابري ويهجو رقة الدين[35]:

سَـــا(ء) بَـريّاً، مـن البرايا مِنْ لبسَ الـدينَ ســـابريّا

وفي نسج هذا الحرير يقول ابن هانئ الأندلسي {من البسيط}[36]:

قـولا لمـعـتـقـلِ الـرُّمـحِ الـرُّدَيـنِيّ والُـمْـرتَـدي بالـرّداءِ الهِـنُـدُوانِيّ
ضعِ السِّلاح فهل حدّثتَ عن رشإٍ في مشـرفيٍّ صـقـيـلٍ أو رديـنيّ
ما حالُ جِسْمٍ تحمّلْتَ السلاحَ بهِ وأنـتَ تَضْـعُفُ عـن حمـل القُبـاطيّ
لأعـرفـنَّ الأديمَ السّـابـريَّ إذا مـا راحَ في سـابريّ النَّسـجِ مـاذيّ

وقد أشار عدد من الشعراء لهذا النوع من الحرير الرقيق، ذي اللمعة والبريق في أشعارهم، كما يقول الفرزدق في هجاء نعيم بن صفوان {من الطويل}[37]:

مَـنْ يُـبْـلِـغُ الخِـنْـزِيـرَ عَـنّي رِسَـالَـةً نُعَيْمَ بنَ صَـفْوَانٍ، خَليعَ بَني سَـعـدِ
فَـمـا أنـتَ بالـقـارِي فَـتُرْجَـى قِـرَاتُـهُ ولا أنـتَ إذ لم تَفْرِ بالفـاسِـقِ الجَلْـدِ
وَلَـكِـنَّ حِـبرِيّاً أصَـابَ نَـقِـيـعَـةً فَـزَعْـزَعَـهـا في سَـابِـرِيٍّ وَفي بُـرْدِ

وقال في وصف نساء يتبعن سيدة متمردة على العرف فاركة، ترتدي ثياباً سابريّة صفيقة {من الطويل}[38]:

وَبِـيـضٍ كَـأرْآمِ الصّـرِيمِ ادّرَيْـتُـهَـا بَعَيْني وقَـد عـارَ السِّـمـاكُ وَأسـحَرَا
وَسُـودِ الـذُّرَى بِيض الوُجُوهِ كـأنّهـا دُمى هَكِرٍ يَنضـحنَ مِسـكـاً وَعَنبرَا
تَـرَاخَى بِهِـنّ الـلّـيْـلُ يَـتْـبَـعْـنَ فَـارِكـاً يضِـيءُ سَـنَـاهَـا سَـابِرِيّاً مُزَعْفَرَا

وأشار بشار بن برد إلى أن هذه الثياب هي لباس النساء اللواتي يتقصّدن الفتنة، فيقال {من الطويل}[39]:

تَرَاءَتْ لَنَا في السّابِرِيّ وفي الحُنَا ثقيلةَ دعص الردفِ مهضومةَ الكبد

وقد وصف الأخطل مبالغة صفاقة هذه الثياب ورقتها، حتى إنها لتصف الجسم كأنه عار تماماً، وتصف لونه (بإخلاص) حيث يقول في وصف أم هيثم {من الطويل}[40]:

ألا طرقتنا ليلةً أم هيثمٍ بمنزلةٍ تعتادُ أرحلنا فضْلا
تروقُكَ عَيْناها، وأنْتَ ترى لها على حيثُ يُلْقى الزَّوْجُ مُنبطَحاً سَهْلا
إذا السابريُّ الحرَّ أخلصَ لونَها تبينتَ لا جيداً قصيراً ولا عُطلا
إذا ما مشَتْ تهتزّ لا أحمريّةٌ ولا نصَفٌ تظنُّ من جسمها دخلا

فالحرير السابري الذي ترتديه أم هيثم يشف عن كل شيء ولا يستر حتى لون جسمها كما يقول الشاعر في البيت الثالث، بل إن أبا نواس يخلع هذه الحلية على غلام يتغزل به فيقول{ من الطويل}[41]:

أغَرُّ لَهُ ديباجَةٌ سابِرِيّة ترَى العِتْقَ فيها جارِياً مُتَبَيَّنَا

لذا باتت هذه الحلل السابرية رمزاً للدعة والسكون، حتى أن هؤلاء الغواني تتأذّى أرجلهن إن مشينَ على غير هذا الحرير السابريّ الرقيق، يقول أبو المعري {من الوافر}[42]:

فراعِ اللهَ والْهَ عنِ الغَواني يَرُحنَ لِيَمتَشطنَ ويَرتحضنَه
وطِئنَ السّابريَّ وخُضنَ بحرَ النّعيمِ، وهُنّ، في ذهبٍ، يَخُضنَه
وللسُّمُراتِ، في الأشجارِ، عيبٌ إذا ما قالَ مُخبِرُهنّ: حِضنَه
نجائبُ لامرىءِ القيسِ بنِ حُجرٍ وَقَصْنَ أخا البَطالَةِ، إذْ يَرُضْنَه

فهذه ثياب المتنعمين ومتاعهم، بخلاف الثياب الخشنة التي يرتديها الفرسان والشجعان، يقول أبو تمام {من الخفيف}[43]:

حُلَّةً سابِرِيَّةً ورِدَاءً كَسَحَا القَيْضِ أَو رِدَاءِ الشُّجاعِ

ولرقة هذا الحرير، فقد صار مثالاً لكل رقيق، حتى بات خصور الجميلات الناعمة تشبه الحرير السابري في رقته وتثنيه، يقول جميل بن معمر يصف خصر بثينة، وضعف جسمه {من الطويل}[44]:

لَها مُقلَتا رِيمٍ وَجيدُ جِدايَةٍ وَكَشحٌ كَطَيِّ السابِرِيَّةِ أَهيَفُ
تَعَلَّقتُها وَالجِسمُ مِنّي مُصَحَّحٌ فَما زالَ يَنمي حُبُّ جُملٍ وَأَضعُفُ
إِلى اليَوم حَتّى سَلَّ جِسمي وَشَفَّني وَأَنكَرتُ مِن نَفسي الَّذي كُنتُ أَعرِفُ

فكشحُ بثينة أي خصرها الأهيف، يشبه في رقته رقة الحرير السابري، وهو نفس التشبيه الذي لجأ له ابن مقبل في قول {من الطويل}[45]:

و مطويَّةٍ كالسابِرِيَّةِ أُدْرِجَتْ على فُقَرٍ مثلِ الجِبالِ الشَّواهقِ

وقد بات الحرير السابري رمزاً لكل شفٍّ رقيق، حتى ولو كان خبزاً من القمح المنخول، كما يقول أبو نواس {من السريع}[46]:

كلُّ رَغيفٍ ناصِعٍ لَوْنُهُ من سابرِيّ الخبزِ برّاقِ

على أن الحرير وإن كان رقيقاً شفاً فإنه متين الحبكة، يستعصي قطعه على السيف البتار لذا صار الحرير، بل والسابري منه، دليلاً على حدة السيف ومضائه، كما يقول ابن مقبل {من الطويل}[47]:

دَلُوقُ السُّرَى يَنْضُو الهَمَالِيجَ مَشْيُهَا كَمَا دَلَقَ الغِمْدُ الحُسَامَ المهَنَّدَا
غَدَتْ عَنْ جَبِينٍ تَمْزُقُ الطيْر مَسْكَهُ كَمَزْقِ اليَمَانِي السَّابِرِيَّ المقَدَّدَا

ففخر السيف اليماني لا بضرب الرقاب بل بتقديد الحرير السابري، وفي ذلك يقول ابن حيوس {من الطويل}[48]:

ويأنفُ أنْ يستصحبَ السَّيفَ كفُّهُ إذا لمْ يقدَّ السَّابريَّ المضعَّفا

ولعلنا في هذا المقام لا ننسى أن نذكر الأبيات الشهيرة لأبي الطيب المتنبي والتي يشبه بها حرير سابور ذي الأكتاف بالدرع الذي يجب أن لاينفذ فيها السيف، فيقول في المبالغة {من الكامل}[49]

مَثَّلتِ عَينَكِ في حَشايَ جِراحَةً فَتَشابَهَا كِلتاهُما نَجلاءُ
نَفَذَت عَلَيَّ السابِرِيَّ وَرُبَّما تَندَقُّ فيهِ الصَعدَةُ السَمراءُ
أَنا صَخرَةُ الوادي إِذا ما زوحِمَت وَإِذا نَطَقتُ فَإِنَّني الجَوزاءُ
وَإِذا خَفيتُ عَلى الغَبِيِّ فَعاذِرٌ أَن لا تَراني مُقلَةٌ عَمياءُ

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث حول استلهام شخصية سابور في الشعر العربي، يمكننا أن نقول أن اللفظ كثر وروده في أشعار المنحدرين من أصول فارسية أو المتأثرين بالثقافة الفارسية، وقد أشار إلى ثلاث شخصيات مختلفة هي الملك الفارسي سابور ذو الأكتاف، والوزير البويهي سابور بن أردشير أبو النصر، والطبيب النصراني سابور بن سهل. وإن كان الاستلهام الأشيع هو لشخصية سابور ذي الأكتاف مما يدل على الارتباط الثقافي والتأثير الذي كانت تمارسه الثقافة الفارسية على الثقافة العربية خصوصاً لدى الشعراء ذوي الأصول الفارسية كمهيار الديلمي، الذي كان لايفتأ يكرر اسم سابور رمزاً للفخر بالإرث الفارسي.

كما ارتبط لفظ سابور في الشعر العربي بالمدن التي بناها الملك سابور ذي الأكتاف والتي أُطلقت أسماؤها عليه. كما أكثر شعراء العربية من الحديث عن الحرير السابري الذي ينتسب لبعصر الملك سابور ذي الأكتاف رمزًا للفتنة والرفاهية.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

.....

المصادر والمراجع:

(1) انظر: الصلات بين العرب وآدابهما في الجاهلية والإسلام، د. عبدالوهاب عزام، نسخة مؤسسة هنداوي 2013.

(2) انظر المرجع ذاته للاستزادة.

(3) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، شرح د. يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت (2008) 96/13.

(4) انظر: تاريخ الطبري، دار الفكر، دمشق، 392/1.

(5) انظر: مرآة الزمان وتاريخ الأعيان، ليوسف بن قزأ وسبط ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت (2013)، 271/2.

(6) انظر: سيرة ابن هشام، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 65/1.

(7) انظر: تاريخ الطبري، 55/2.

(8) الأوائل لأبي هلال العسكري، دار البشير، طنطا، مصر (1408هـ) ص95.

(9) تاريخ الطبري، 67/2، مروج الذهب للمسعودي، 216/1.

(10) ديوان ابن نباتة المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ب.ت) ص 332.

(11) ديوان مهيار الديلمي، مؤسسة الأعلمي (1999)، ص114.

(12) ديوان مهيار الديلمي، ص230.

(13) تاريخ الفكر العربي، إسماعيل مظهر، دار هنداوي للطباعة والنشر، منشور على الانترنت.

(14) ديوان مهيار الديلمي، ص 61.

(15) اللزوميات، أبو العلاء المعري، دار الكتب العلمية، بيروت (2001)، 112/1.

(16) ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري، ص 176.

(17) انظر: التذكرة الحمدونية ، دار صادر، بيروت (1417هـ)، 419/1.

(18) البيان والتبيين، الجاحظ، 240/3.

(19) تعليق من أمالي بن دريد، تحقيق السيد مصطفى السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت (1984) 108.

(20) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت (2011)، 239/6.

(21) ديوان البحتري، 237/1.

(22) يتيمة الدهر وفريدة العصر، أبو منصور الثعالبي، شرح وتحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت (2019)، 146/3.

(23) يتيمة الدهر، 141/3.

(24) المرجع ذاته.

(25) الفهرست لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية (1997) ص 358.

(26) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (2011)، ص 179.

(27) الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري، تحقيق عبدالمنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر (1960)، ص 49.

(28) ديوان ابن الرومي، تحقيق د. عمر الطباع، ص 315.

(29) البرصان والعميان والحولان، للجاحظ، دار الجيل، بيروت، (1419 ه) ص493,

(30) معجم البلدان، ياقوت الحموي، 168/3.

(31) المرجع ذاته.

(32) ديوان المتنبي، ص 320.

(33) للاستزادة انظر: فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي (2002) ص170.

(34) انظر: المرجع ذاته.

(35) اللزوميات، 451/2.

(36) ديوان ابن هانئ الأندلسي، دار الاسكندرية للنشر والتوزيع، ص 378.

(37) ديوان الفرزدق، ص133.

(38) ديوان الفرزدق، ص353.

(39) ديوان بشار بن برد، شرحه مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (2010) ص 382.

(40) ديوان الأخطل، شرحه مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت (2010) ص 296.

(41) ديوان أبي نواس، ص 539

(42) اللزوميات، 365/2.

(43) شرح ديوان أبي تمام، شرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت (2009) ص183.

(44) الأغاني، 87/7.

(45) الاغتراب في الشعر العباسي، سميرة سلامي (2000م) ص134.

(46) ديوان أبي نواس، شرح علي فاعور، دار هلال للنشر والتوزيع (2002)، ص 367.

(47) ديوان ابن مقبل، دار المعرفة، بيروت (2013) ص 87.

(48) كتاب الأفضليات، علي بن منجب الصيرفي، مجمع اللغة العربية، دمشق (1982) ص21.

(49) ديوان المتنبي، ص125.